الجمعة ٢٨ آب ٢٠٠٩ ـ الموافق ٧ رمضان ١٤٣٠ هـ ـ العدد ١١٣٨١
AS-SAFIR Arabic political daily – August 28, 2009 N° 11381

العلمانية بين «جامعة بروكسل الحرة» وقدامى طلابها في لبنان: مفهومها متعدد ويتسع للاختلاف.. أما مكانها في لبنان فصعب!

«لقد آن الأوان لبناء دولة معاصرة تقف على مسافة واحدة من جميع أبنائها وتكون ضامنة لحقوق الإنسان.. على اللبنانيين اعتبار الدولة دولتهم، فهم يتوقون لدولة علمانية وهم يستحقونها». جاء هذا النص في البيان الذي أصدره «اتحاد متخرجي جامعة بروكسل الحرة ـ فرع لبنان»، إثر زيارة بعثة من «جامعة بروكسل الحرّة» و«اتحاد الطلاب القدامى» و«مركز النشاط العلماني» و«جمعية من أجل لبنان علماني»، على رأسها رئيس «جامعة بروكسل الحرّة» البروفسور جان لوي فانهرويغام، الى بيروت، للاحتفال بتأسيس «فرع لبنان» لـ«اتحاد الطلاب القدامى» و«البيت العلماني».

إذاً، يحضر موضوع العلمانية في بلد يكتظّ بالطوائف والمذاهب، ولا يسمح بكشف الستار عن العلمانية التي تؤمن بها مجموعة كبيرة من أهل لبنان. ناهيك عن وجود تعدد في مفهوم العلمانية ذاتها، ما قد يعيق نشرها واعتمادها.

ألقيت للمناسبة محاضرة، أمس الأول، موضوعها العلمانية، شارك فيها رئيس فرع لبنان الدكتور وليد عمار، رئيس جامعة «بروكسل الحرة» البروفسور فانهرويغيم، رئيس مركز النشاط العلماني بيار غالان، عميدة معهد الدكتوراه للآداب والعلوم الانسانية في الجامعة اللبنانية ليلى سعاده، والزميل نصري الصايغ.

استهل غالان الندوة بالتأكيد على أن العلمانية ليست مفهوماً واحداً، «بل لكل بلد علمانيته الخاصة». وتناول مبدأ العلمانية في القرن العشرين، منطلقا من تاريخ نشر العلمانية في بلجيكا.

ثم تناول التجربة البلجيكية، وكيفية تأسيس العلمانية فيها، مشيرا إلى دستور الدولة، والعلاقة بينه وبين الكنائس. وتوقف عند مواد الدستور التي تضمن حرية التعبير للمواطنين وتشجع الزواج المدني، مؤكدا أن دولة بلجيكا تسمح لمواطن اعتناق الدين الذي يختاره ولا تفرض عليه قيودا.

كما تحدث عن الجمعيات العلمانية في بلجيكا، مؤكدا ان تاريخ تأسيس أقدمها يعود خمسين سنة الى الوراء. وبرأي غالان، «من اجل التأكيد على سياسة العيش المشترك، فمن الضروري العودة الى مبدأ العلمانية ومعناها الأساسي». ولفت الى ان التعدد في تعريف العلمانية يخلق أحيانا المشاكل.

أما الصايغ فردّ على غالان قائلاً: «لبنان لا يشبه بلجيكا»، ومؤكدا انه ليست هناك «علمانية لبنانية». ولفت الصايغ الى سهولة البحث عن أماكن الطوائف في لبنان، مقابل صعوبة إيجاد مكان للعلمانية. وأكد أن الطائفيين منتشرون في كل مكان في لبنان وفي مؤسسات الدولة، حيث يمكن «تلخيص وجود الطائفي في صيغة لا مبالغ فيها ومساحة ١٠٤٥٢ كلم لا تتسع لهم».

وتوقف عند موازين القوى المحلية، مؤكداً ان العلمانيين هم خارج الوطن، ولا يحضرون في مكاييل السياسة، الإصلاح، والتغيير. وبرأيه، لا شيء في التاريخ العربي اسمه «الدولة الإسلامية». وتابع: «لبنان يزداد طائفيا، والمضحك في الامر ان من يزنّ طوال الوقت هم الطائفيون الذين حصلوا على حقوقهم». وأعرب الصايغ عن أسفه لتخلي الأحزاب عن مشاريعها العلمانية من أجل مشاريع طائفية، متسائلا: «لماذا هذا الجفاف في المكتسبات العلمانية؟».

بدورها، أكدت سعادة انه لا يمكن تناول موضوع العلمانية في لبنان، وخصوصا في الجامعة اللبنانية، من دون التحدث عن تنوع هذا البلد المؤلف من ١٨ طائفة.

وقدمت سعادة نبذة عن تاريخ الجامعة وتأسيسها وتنوع طلابه، مشيرة إلى أن الجامعة تضمّ ٧٠ في المئة من طلاب لبنان وهي حيّز مشترك بين جميع الطوائف، «فيما الجامعات الاخرى من دون استثناء لها طابع ديني، طائفي، أو تابعة لدولة ما».

ولفتت سعادة الى انه «برغم ما يحصل في المجتمع اللبناني من نزاعات، وتأثر الجامعات بها، ظلت الجامعة اللبنانية تقريبا بمنأى عن التغيير، حيث إن حريات القول، الكتابة، التعبير والتعليم ما زالت موجودة».

من جهته، عرض فانرويغام محاضرة عن تاريخ جامعة بروكسل الحرة بعنوان «١٧٥ سنة في خدمة الحرية والتحرر». وانطلق من مبدأ نضال الجامعة عملياً الذي «أدى الى إقامة إضرابات، إقفال واستقالات جماعية، حفاظا على حق الاختلاف والتمييز بين الديني والدنيوي، الحق بممارسة الحرية الأكاديمية، ولا حرم على أي موضوع للبحث العلمي، الديني والسياسي، وكل هذا أدى الى فوز الجامعة بمركز الصدارة عالميا على مستوى الفكر الحر» بحسب فانرويغام. في السياق نفسه، أصدر الاتحاد ـ فرع لبنان، بيانا أكد فيه أن «فرع لبنان لاتحاد متخرجي جامعة بروكسل الحرة يؤكد تمسكه بمبدأ الفكر الحر ويعلن عن تصميمه العمل لضمان حرية الفكر والمساواة بالحقوق من اجل بناء مجتمع حر، متعدد واخوي». وأضاف البيان ان الاتحاد «يرى العلم بالأولوية على مستوى قطاع التربية والتعليم الخاضع أكثر فأكثر لهيمنة الطوائف مما يشكل تهديدا جديا للنسيج الاجتماعي المتعدد المذاهب والقناعات الفكرية. فإن المدارس الحكومية برسالتها اللاطائفية تبقى الملاذ الافضل لجمع التلاميذ من مختلف الانتماءات. لذلك، فإن دعم المدارس الحكومية هو أمر حيوي لتعزيز مبدأ احترام التعددية عند الشباب وبناء روح المواطنية». وتابع البيان: «أما المحور الثاني فيتعلق بمصالحة المواطن مع الدولة، حيث ان مفهوم الدولة ككيان غريب عن المواطنين، هو مفهوم يعززه الطائفيون لكي يضمنوا لأنفسهم موقعا كناطقين باسم المواطن والمدافعين عنه مقابل الدولة التي تلقى عليها جميع أنواع الاتهامات». يذكر أن «البيت العلماني» عقد أمس مؤتمرا صحافيا حول «العلمانية» بمشاركة البعثة التي حضرت الى بيروت.

على منصة الحوار (علي لمع)

زينة برجاوي